الله (ﷺ) ، والائمة المسلمون القائمون على شريعة الله المجاهدون فى سبيل الله من بعده فى هذه المصارف :

لله وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل، بما يواجه الحاجة الواقعة عند وجود ذلك المغنم وفى هذا كفاية) (١) .

والذى يعنينا هنا من هذه المسائل الفقهية المتعلقة بقضية الغنائم والانفال هو ذلك الخمس منها الذى كتبه الله لنبيه (ﷺ) والذى يعنينا من ذلك الخمس بيان كيف ان الله تعالى غنى نبيه (ﷺ) بذلك الخمس :

يقول الشيخ : سيد سابق رحمه الله :

فالآية الكريمة نصت على الخمس يصرف على المصارف التى ذكرها الله سبحانه وتعالى ، وهى : الله ورسوله – ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وذكر الله هنا تبرك، فسهم الله ورسوله مصرفه مصرف الفئ ، فينفق منه على الفقراء ، وفى السلاح والجهاد ، ونحو ذلك من المصالح العامة ...

روى ابو داود والنسائى عن عمرو بن عبسة قال (٢) .

صلى بنا رسول الله (ﷺ) الى بعير من المغنم ، ولما سلم اخذ وبرة من جنب البعير ثم قال : " لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا الا الخمس ، والخمس مردود فيكم " أى ينفق منه على الفقراء ، وفى السلاح ، وفى الجهاد ، أما نفقات رسول الله (ﷺ) ، فكانت مما افاء الله عليه من أموال بنى النضير روى مسلم (٣) عن عمر قال :

" كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت للنبى (ﷺ) خاصة ، فكان ينفق على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع (الخيل) والسلاح عدة فى سبيل الله "

وسهم ذوى القربى : أى أقرباء النبى (ﷺ) وهم بنو هاشم ، وبنو المطلب الذين آزروا النبى (ﷺ) وناصروه ، دون اقربائه الذين خذلوه وعاندوه روى البخارى واحمد عن جبير بن مطعم قال :

---

(١) ٣ / ٨ / ١٥ ، ١٥١٩ .

(٢) رواه ابو داود فى السنن : كتاب الجهاد : باب فى الإمام يستأثر بشئ من الفئ لنفسه : ٨٢/٣ برقم ٢٧٥٥ . ط دار الحديث بالقاهرة .

(٣) فى كتاب الجهاد والسير : حكم الفئ ٧٠/١٢ .

لما كان يوم خيبر قسم رسول الله (ﷺ) سهم ذوى القربى بين بنى هاشم ، وبنى المطلب ، فأتيت انا وعثمان بن عفان فقلنا يا رسول الله : أما بنو هاشم فلا تنكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا من بنى المطلب ، أعطيتهم وتركتنا ، وإنا نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال : انهم لم يفارقونى فى جاهلية ولا اسلام ، وانما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد ، وشبك بين اصابعه ، ويأخذ منهم الغنى والفقير والقريب والبعيد والذكر والانثى (للذكر مثل حظ الانثيين) (١) .

وفى حديث طويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن عمر قال: " إن الله قد خص رسوله (ﷺ) فى هذا الفئ بشئ لم يعطه أحدا غيره ثم قرأ : (وما أفاء الله على رسوله منهم - الى قوله - قدير) فكانت هذه خالصة لرسول الله (ﷺ) إلى أن قال – فكان رسول الله (ﷺ) ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله (ﷺ) بذلك حياته " (٢)

فكانت أموال بنى النضير منة من الله لنبيه (ﷺ) ليس لأحد فيها نصيب غيره ، والعلة فى هذا ما وضحته الآية الكريمة : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣)

فما أوجفتم عليه : أى اوضعتم عليه . والإيجاف : الايضاع فى السير وهو الاسراع ، يقال وجف الفرس إذا أسرع ، وأوجفته أنا أى حركته وأبقيته .

ومن قول مميم بن مقبل :

هذا وبدا بالبيض الحديث صقالها ... عن الركب أحيانا إذا الركب أوجفوا؟

والركاب الإبل ، واحدها راحلة ، يقول : لم تقطعوا اليها شقة ، ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة . وانما كانت من المدينة على ميلين ، قال الفراء ، فمشوا اليها مشيا، ولم يركبوا خيلا ولا ابلا ، الا النبى (ﷺ) ، فإنه ركب جملا ، وقيل حمارا مخطوما بليف ، فافتتحها صلحا ، وأجلاهم وأخذ أموالهم ، فسأل المسلمون النبى (ﷺ) أن يقسم لهم فنزلت : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ

(١) انظر صحيح البخارى برقم ٣١٤٠ بلفظ مختلف .
(٢) البخارى رقم ٣٩٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٧٥ .
(٣) سورة الحشر : آية ٦ .

عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ) (١) الآية فجعل أموال بنى النضير للنبى خاصة يضعها حيث شاء ، فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر محتاجين (٢) .

كان كل الفئ لرسول الله (ﷺ) فى هذه العزوة (ولم يخمس ما أخذ من بنى النضير فإنه فئ لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ... فأعطى عليه السلام من هذا الفئ فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وردوا لإخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم ، واخذ عليه السلام ارضا يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاما)(٣)

فاغنى الله تعالى نبيه (ﷺ) من هذه الأرض الخصبة بما أفاء به عليه من نصر وتمكين ، يتبوأ منها حيث شاء .

والخلاصة : -

أن رسول الله (ﷺ) (كان اذا ظفر بعدوه امر مناديا فجمع الغنائم كلها ، فبدأ بالاسلاب فاعطاها لأهلها (٤) ثم اخرج خمس الباقى ، فوضعه حيث أراه الله ، وأمره به من مصالح الإسلام ثم يرضخ (٥) من الباقى لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد ثم قسم الباقى بالسوية بين الجيش للفارس ثلاثة أسهم ، سهم له ، وسهمان لفرسه وللراجل سهم . هذا هو الصحيح الثابت عنه (ﷺ) وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة ، وقيل بل كان النفل من الخمس .

٢ - وأن النبى (ﷺ) : " كان له سهم من الغنيمة يدعى الصفى ان شاء عبدا ، وان شاء أمة ، وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس قالت عائشة : وكانت صَفِيَّة من الصفى رواه ابو داود ، ولهذا جاء فى كتابه إلى بنى زهير بن أقيش : " إنكم ان شهدتم ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، واقمتم الصلاة واتيتم الزكاة ، واديتم الخمس من المغنم وسهم

---

(١) سورة الحشر : آية ٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى ١٨ / ٩ بتصرف يسير .

(٣) نور اليقين : للشيخ / الخضرى – ص ١٢٧ بتصرف .

(٤) لقوله (ﷺ) : " من قتل قتيلا فله سلبه " البخارى برقم ٤٣٢١ .

(٥) رضخ : اعطى عنتار الصحاح ٩٢ .

النبى (ﷺ) وسهم الصفى أنتم امنون بأمان رسول الله (ﷺ) وكان سيفه ذى الفقار من الصيفى"(١)

٣ - وأنه (ﷺ) كان له الخمس للاية (واعلموا انما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول) وان هذا الخمس يخمس ، فسهم رسول الله (ﷺ) وسهم لذوى قرباه الخ مما أسلفنا .

أما الأربعة أخماس الباقية من الغنائم فهى لسائر الجيش .

٤ - وأن الله تعالى قد منح نبيه (ﷺ) فئ بنى النضير ، لأن فتحها كان بغير جهد من الصحابة يكافأون عليهاخلاف الغنيمة الذين تعبوا أنفسهم فى تحصيلها ، وأوجفوا عليها بالخيل والركاب

قال الواحدى : (كان الفئ فى زمان رسول الله (ﷺ) يقسم على خمسة أسهم ، أربعة منها لرسول الله (ﷺ) خاصة ، وكان الخمس الباقى يقسم على خمسة اسهم ، سهم منها لرسول الله (ﷺ) ايضا ، والاسهم الاربعة لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٢)

إذا فما كان يصيب رسول الله (ﷺ) من الخمس والفئ والصفى كان يشكل ثروة كبيرة ، ومصدر ثراء عظيم أغنى الله تعالى به نبيه (ﷺ)

يقول الشيخ سعيد حوى - رحمة الله تعالى -

(ان الله قد جعل خمس الغنائم إليه ، وكان حصته عليه السلام من هذا الخمس : الخمس ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة ، ولو اراد الرسول (ﷺ) مالا لكان اكثر الخلق مالا ...

ان خمس غنائم حنين كان ثمانية الاف من الغنم ، واربعة الاف وثمان مائة من الجمال ، وثمانية آلاف اوقية من الفضة ، والف ومئتان من السبى هذا الخمس الذى لرسول الله (ﷺ) وقرباه منه خساه ،فكم تتصور غنى الرسول (ﷺ) لو أراد ان يجمع مالا من غزواته كلها من خيبر الغنية ، وقريظة وبنى النضير) (٣)

مما سبق يتضح لنا الأتى :

---

(١) ابو داود فى السنن كتاب الخراج : باب ما جاء فى سهم الصفى ١٥١/٣ .

(٢) مفاتيح الغيب : مجلد ١٥ ص ٢٤٨ .

(٣) الرسول (ﷺ) : ص ١٣٩ .

١ – ان الله تعالى أغنى نبيه محمدًا (ﷺ) ببركة سيفه المبارك (وجعل رزقى تحت ظلال السيوف) (١) وكان بهذا المورد فى خير كبير

٢ – وانه اذا ضم هذا المورد الى غيره من الموارد سالفة الذكر لتبين لنا أن رسول الله (ﷺ) كان يعد اغنى الأغنياء .

٣ – وان هذا الثراء قد تحقق له (ﷺ) بكلمة الله (فأغنى) لم يكن لشئ إلا لتحقق له القدوة الشاملة فى كل فهو قدوة للأغنياء أصحاب الموارد الكثيرة ، كان اكثرهم لكنه ضرب لهم المثل والقدوة فى إنفاقه العجيب مما أتاه الله لما اراد الله .. فكان (ﷺ) (أجود بالخير من الريح المرسلة)(٢) وانه (ﷺ) يحب الطيب من الطعام فى غير اسراف ولا تبذير فأخذ من نعيم الدنيا على قدر بقائه فيها وادخر الكثير لينال به الحظ العظيم فى الأخرة ... ولو أن الأثرياء تأسوا بنبيهم فى هذا الخير ولتغير وجه العالم اليوم .

---

(١) جزء من حديث رواه بن عمر انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين على ابن ابى بكر الهيثمى . تحقيق عبد الله محمد الدرويش ح٥ – ص ٤٧٨ : كتاب الجهاد : باب ما جاء فى القسى والرمى والرماح والسيف ، وقال : رواه الطبرانى ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقة بن المدينى وابو حاتم وغيرهما ، وضعفه احمد وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن : باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى (ﷺ) برقم ٤٩٩٧.

المبحث الخامس

هل وجبت الزكاة فى مال الرسول (ﷺ) ؟

بعد أن وقفنا مع حجم الثروة الضخمة التى من الله تعالى بها على نبيه (ﷺ) من خلال المصادر آنفه الذكر وهى :

١- جهاده فى سبيل الله وما أفاء الله تعالى عليه من غنائم .

٢- وخبرته التجارية .

٣ – البركة .

٤ – رعيه الغنم .

نستطيع القول بان الثراء الذى اصاب النبى (ﷺ) بيده كان نصاب زكاته كبيراً ... ولو أننا نظرنا إلى حجم الزكاة التى كانت تجب فى ماله (ﷺ) لرأينا أنها كانت تفوق حجم ما تخرجه الصحابة رضوان الله عليهم

فما هو حجم زكاته (ﷺ) ؟

إذا أردنا ان نعرف حجم زكاة اموال النبى (ﷺ) فإن ينبغى علينا أن نعرف حجم انفاقه ومقدار مدخراته ، وبهذين الامرين معا نستطيع ان نعرف حجم زكواته (ﷺ) .

أولا :حجم انفاقه (ﷺ) :

ولبيان حجم انفاقه (ﷺ) نبين الاتى :

١ - وصف عطائه (ﷺ) : لقد بلغ الرسول (ﷺ) من الجود مبلغا عظيما فاق رموز الكرم من العرب كحاتم الطائى (١) وغيره ان يصلوا اليه .

---

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من امرئ القيس والد سفانه الطائى وعدى بن حاتم الطائى الصحابين كان جوادا ممدحا فى الجاهلية ، وكذلك كان- =ابنه فى الإسلام ، وكانت لحاتم آثر وأمور عجيبة واخبار مستغربة فى كرمه يطول ذكرها .

انظر : البداية والنهاية لابن كثير / ٢/ ١٨٢ .

العقد الفريد : الفقيه احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى / ت . د مفيد محمد قميحه – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

لقد اشتهر حاتم الطائى بقرى الضيف واعتاق العبيد وكثرة الصدقات ، (وكان من الاجواد المشهورين المطعمين فى السنين المحلة(١) ، والاوقات المرملة(٢)) (٣) . ولما وقعت ابنة حاتم الطائى فى الاسر قالت لرسول الله (ﷺ) : (ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى ، وان أبى كان يحمى الذمار (٤) ويفك العانى(٥) ويشبع الجائع ويكسو العارى ، ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يرد حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم الطائى) (٦) ، ويكفى هنا بعد ذكر هذه الخصائص العجيبة لحاتم الطائى ان اسوق مثالا واحدا (وفد حاتم الطائى على النعمان بن المنذر فأكرمه وأدناه ، ثم زوده عند انصرافه حلين ذهبا وورقا غير ما أعطاه من طرائف بلده. فرحل فلما أشرق على أهله تلقته أعاريب طئ فقالت : يا حاتم اتيت من عند الملك ، وأتينا من عند أهالينا بالفقر ، فقال حاتم : هلم فخذوا ما بين يدى فتوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من حباء النعماء فاقتسموه ، فخرجت الى حاتم (طريفة) جارية ، فقالت له : اتق الله وابق على نفسك فما يدع هؤلاء دينارا ولا درهم ولا شاة ولا بعيرا .

فأنشأ يقول :

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا ... وما بنا سرف فيها ولا خرق

ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا ... ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق

ما يألف الدرهم الكارى خرقتنا ... إلا عبر عليها ثم ينطلق

---

(١) السنين المحلة : الجدبة .

(٢) الاوقات المرملة : التى عم فيها الفقر .

(٣، ٤) البداية والنهاية ١٨٢/٢ .

(٥) يحمى الذمار : ما يتبغى حمايته كالأهل والعرض .

(٦) ويفك العانى : الاسير .

إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى سبل المعروف تستبق (١)

- والروايات عن حاتم الطائى فى كرمه كثيرة ، وكلها بيان لعظيم جوده وجزيل عطائه ، وما ذكرته هنا هو اشارة واضحة معبرة عما وراءها .

ب - الفرق بين عطاء (حاتم الطائى) وبين عطاء رسول الله (ﷺ) :

أولا : فى الدافع :

ان هذا الكرم الحاتمى كان ينبع من دافع ارضى هو حب الحمدة وابتغاء الشهرة ، ولقد الفت نفس حاتم الكرم فوصل فيه إلى نهايته البشرية يقول الحافظ بن كثير - رحمه الله تعالى - (لم يكن يقصد به وجه الله والدار الآخرة ، وانما كان قصده السمعة والذكر .وذكر حاتم عند النبى (ﷺ) فقال : (ذاك اراد امرا فأدركه) حديث غريب ، قال الدار قطنى : تفرد به عبيد بن واقد عن أبى نصر الناجى ، ويقال ان اسمه حماد... وفى قوله (ﷺ) لابنته حينما سألته : ان ابى كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له فى ذلك يعنى من أجر . قال : ان اباك طلب شيئا فأصابه.

ولقد سئل النبى (ﷺ) عن واحد من مشاهير الأسخياء وهو عبد الله بن جدعان فقيل له (ﷺ) : كان يقرى الضيف ويعتق ويتصدق ، فهل ينفعه ذلك ؟

فقال (ﷺ) : انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين . هذا وقد كان من الأجواد المشهورين ايضا المطعمين فى السنين المحلة والأوقات المرملة .

وقوله (ﷺ) لابنه حاتم (سفانه) لما عددت مآثر أبيها اقام نبيها . قال : (يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مؤمن لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الاخلاق .والله تعالى يحب مكارم الأخلاق) (٢)

---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ٢ / ١٨٢ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٨٠ .

من خلال تلك الأحاديث والآثار يتبين لنا دافع هؤلاء المشاهير من العرب فى العطاء والسخاء الذى شرقت به الأخبار وغربت وعم الآفاق .

أما الدافع الذى حمل رسول الله (ﷺ) على العطاء والبذل فهو بلا شك وجه الله والدار الآخرة ،وتلك عقيدة الإسلام السمحة التى تربط البشر وعلى رأسهم سيد البشر – بالله فى كل شئ ، دون أدنى اعتبار لأى مخلوق مهما تكن الدوافع والغايات ، قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)(١) فشتان بين دافع أرضى ودافع سماوى .

فحاتم جزاؤه عند ربه فيما قصد ، اما رسول الله (ﷺ) الذى جاء ليعلم البشرية أجمع اخلاص الدين لله رب العالمين ، فقد كان نعم القدوة فى الإخلاص لله الذى نزل عليه (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر : ١ – ٣]

ثانيا : فى كم العطاء وسعة الجود :

إن جود حاتم على النحو الذى ذكرنا طرفا منه لا يأت بشئ اذا قورن بعطاء النبى (ﷺ) وسعة جوده ... وذلك من عدة أمور :

الاول : ان محمدا (ﷺ) نبى مرسل وحاتم ليس نبيا

الثانية : ان رسول الله (ﷺ) قدوة للعالمين فلابد أن يكون على أعلى مثال ليس فوقه بشر..

الثالث : قوله (ﷺ) " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فصاحب الكمال البشرى (ﷺ) كانت مهمته ان يرتقى بالاخلاق الى اعلى درجة بشرية ... فجود ذوى العطاء من العرب لم يبلغوا حد الكمال فى جودهم، ولم يستطع أحد ان يصل إلى هذا الحد حتى جاء النبى (ﷺ) فاكتمل به الجود .

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم : ١٦٢ – ١٦٣ .

الرابع : قوله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم) (١)

فهى أولا شهادة من الله لنبيه أنه على خلق عظيم أما غيره من الاسخياء الذين سبقوه ، فقد كان الثناء عليهم فقط من أشباههم من المخلوقين .

وهى ثانيا أسلوب فى الثناء عظيم ، لو جمعت الأقوال واستوعبت المشاعر التى وجهت الى الاسخياء قبله (ﷺ) فإنها لن تبلغ معشار هذا الوصف القرآنى الفريد .

وهى ثالثا لم تأت بلفظ (وانك لذو خلق) وانما جاءت بهذا الاسلوب البليغ (لعلى خلق عظيم) فحرف الجر (على) فيه من الاستعلاء ... فهو رأس والأخلاق تستمد منه ....

فإذا ما كان العرب قبله كانوا يتنافسون ليصبح أحدهم مضرب المثل فى الجود على غيره أيا كان هذا المستوى الذى وصل اليه فى الجود، فإن النبى (ﷺ) قد وضعه الله على (خلق عظيم) ، فقد بدأ (ﷺ) من حيث قد قضى العرب السابقون حياتهم فلم يصلوا إلى نقطة البداية التى بدأ منها المصطفى (ﷺ) .

وهى رابعا قد جاءت نكرة لتفيد العموم ووصفت بالعظيم فهو العظيم بتقدير العلى العظيم . وشتان بين مفهوم الشعراء وغيرهم لعظمة الأسخياء ، ووصف الله لخلق نبيه (ﷺ) بأنه عظيم فإذا وصف المخلوق مثله بالعظمة فهو وصف على قدر الواصف المخلوق إما اذا وصف الله خير خلقه وصفوة رسله بالعظمة فى الخلق فهو وصف على قدر الله العظيم .

وإذا كان الوصف هنا عاما شاملا لكل جوانب الأخلاق فى الحياة الإنسانية ، وقد كان فى جميعها علىخلق عظيم ، فهذا أمر عظيم جدا أما الذين كانوا مضرب المثل قبله (ﷺ) فقد تميزوا فى جانب واحد فقط

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى :

(انه محمد وحده هو الذى يرقى الى هذا الأفق من العظمة .. انه محمد وحده هو الذى يبلغ قمة الكمال الإنسانى الجانس لنفخة الله فى الكيان الإنسانى . إنه محمد وحده هو الذى يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية ، حتى لتتمثل فى شخصيته حيه ، تمشى على الأرض

---

(١) سورة القلم : اية رقم : ٤ .

فى إهاب إنسان ، أنه محمد وحده الذى علم الله منه انه أهل لهذا المقام ، واعلن فى الأخرى أنه جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته ، يصلى عليه هو وملائكته .. (إن الله وملائكته يصلون على النبى) وهو – جل شأنه– وحده القادر على ان يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم)(١)

الخامس ان تلك المدرسة المحمدية الربانية قد خرجت رؤءسا فى العطاء والكرم نذكر منها – وهى أعظم من ان نحصوا عددا وفضلا فى كل عصر ومصر

ابو بكر الصديق :

ويكفينا دليلا على تفوق ابى بكر فى العطاء والجود على غيره من مشاهير العرب ثناء القرآن العاطر عليه فى جوده وسخائه . قال تعالى : (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى {٢٠} وَلَسَوْفَ يَرْضَى) (٢) .

قال ابن الجوزى : (اجمعوا على انها نزلت فى ابى بكر)(٣) .

عثمان بن عفان : الذى اشترى الجنة مرتين ... لما جهز جيش العشرة (٤) ولما اشترى بئر رومة (٥)

فقد أخرج الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين حيث حفر بئر رومة ، وحيث جهز جيش

---

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٦٥٧ .

(٢) سورة الليل : الآيات ١٧ – ٢١ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ص ٣٣ والتفسير الكبير للفخر الرازى ١٦/١٨٥ .

(٤) فقد خطب النبى (ﷺ) فحث على جيش العسرة ن فقال عثمان على مائة بعير بأحلاسها وافقابها . قال ثم نزل مرقاة من المنبر ، ثم حث . فقال عثمان على مائه أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث ،فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبى (ﷺ) يقول بيده يحركها ما على عثمان ما عمل بعد هذا (صفة الصفوة : لابن الجوزى ١/ ٩٣ – ٩٤) ثم ان رسول الله -(ﷺ) ما كاد يدخل داره حتى دخل عليه عثمان رضى الله عنه وصب الف دينار فى حجره (ﷺ) !!! .

(٥) لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومه

العسرة ، واخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بلفظ مختلف .

وقال القائل فى هذا :

يسرت للعسرة الشعواء غزوتها بالخيل والعير فيها كل قرحان

وجئت بالمال فى حجر النبى ولم تكن على الملة الكبرى بمنان

ومن يعن ملة الإسلام فى حرج يكن له الله حسبا خير معوان

وبئر رومة قد خلصت ركوتها من اليهودى تسقى كل ظمان [1]

وان موقفه رضى الله عنه فى عام الرمادة لأعجب حينما ضحى بقافلة تجارية قد اجرى عليها التجار المزاد حتى وصل منتهاه فاثر التجارة مع الله رب العالمين ، ووهبها للناس فى المدينة ايام عمر رضى الله عنه ...

هذان نموذجان من نماذج العطاء النادر [2] . يمثلان الخلق العالى العظيم فى العطاء والجود الذى كان عليه المسلمون الذين صنعهم النبى (ﷺ) على هذا الخلق ...

---

(١) انظر صحيح التوثيق فى سيرة وحياة ذى النورين عثمان بن عفان محمد السيد ص ٣٧ دار الصحابة .

(٢) لقد فتحت الدنيا على صحابة النبى (ﷺ) فامسكوا بنلابيبها بايديهم فلم تفلت من ايديهم ، فاحسنوا توجيهها ، ودفعوا بها ثمنا لجنة عرضها السموات والارض،= =ونزل فيهم قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم بأن لهم الجنة) التوبة: ١١١ .

ومع أن هذا كان سمتهم جميعهم إلا أنه قد فاق منهم وتميز من تميز ، يقول ابن عبد ربه فى العقد الفريد : (وأما أجواد أهل الإسلام فاحد عشر رجلا فى عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد عبيد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص وأجواد البصرة خمسة فى عصر واحد ، وهم عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبيد الله بن ابى بكرة مولى (ﷺ) ، ومسلم بن زياد ، وعبيد الله بن معمر القرشى ، وطلحة الطلحات ، وهو

وإذا كان هؤلاء العظماء الذين خلد التاريخ ذكرهم بعظيم سخائهم فما بالك بسخاء من صنعهم وهو النبى (ﷺ) .

السادس : ما جاء فى وصف الرسول (ﷺ) من أصحابه رضوان الله عليهم وناخذ من ذلك رواية البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما...

" كان النبى (ﷺ) أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله (ﷺ) القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة " (١) .

طلحة بن عبيد الله ، وأجواد أهل الكوفة ثلاثة فى عصر واحد ، وهم عتاب بن ورقاء الرياحى ، واسماء بن خارجة الفزارى ، وعكرمة بن ربعه الفياض ، ومن وجود عبيد الله بن عباس رضى الله عنهما ... أنه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حيا على طعام ، وأول من أنهبه ، وفيه يقول شاعر المدينة

وفى السنة الشهباء اطعمت حامضاً وحلوا ولحما تامكا وعزعا

وانت ربيع لليتامى وعظمة اذا اهل من جو السماء تطلعا

ابوك أبو الفضل الذى كان رحمة وغوثا ونورا للخلائق اجمعا

ومن جودة أنه اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال : يا ابن عباس : ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها ، فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدك عندنا ؟ قال : رأينك واقفا بزمزم ، وغلامك يمتح (يستقى) لك من مائها ، والشمس قدصهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت . قال : انى لاذكر ذلك وأنه يتردد بين خاطرى وفكرى ، ثم قال لقيمه ما عندك ؟ قال :مائتا دينار وعشرة الاف درهم قال : ادفعها ، وما أراها تفى بحق يده عندنا . فقال له الرجل ، والله لو لم يكن لاسماعيل غيرك لكان فيه ماكفاه ، فكتب وقد ولد سيد الاولين والاخرين محمدا (ﷺ) ثم شفع بك وبأبيك ٨ / ٦٦٠ – ٦٦١ .

- وهذا الوصف من العلامة ابن عبد ربه ليس وصفا عاما شاملا لاجواد أهل الاسلام، وإلا فأين جود العشرة المبشرين بالجنة ، وقد ذكرنا طرفا منهم وعلى راسهم الصديق رضى الله عنه .

(١) سبق تخريجة .

وفى تشبيه ابن عباس رضى الله عنهما لجود رسول الله (ﷺ) بالريح المرسلة فوائد ذكرها العلامة بن حجر فى الفتح فقال :

(اثبت له وصف الاجودية ثم أراد أن يصفه بازيد من ذلك فشبه جوده بالريح المرسلة ، بل جعله ابلغ فى ذلك منها ، لان الريح قد تسكن. وفيه الاحتراس لأن الريح منها العقيم الضارة ومنها المبشرة بالخير ، فوصفها بالمرسلة ليعين الثانية واشار الى قوله تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) (١) (والله الذى أرسل الرياح) (٢) ونحو ذلك ، فالريح المرسلة تستمر مدة ارسالها ، وكذا كان عمله (ﷺ) فى رمضان وفيه استعمال افعل التفضيل فى الاسناد الحقيقى والمجازى ، لان الجود من النبى (ﷺ) حقيقة ومن الريح مجاز ، فكأنه استعار للريح جودا باعتبار مجيئها بالخير ، فانزلها منزلة من جاد) (٣) .

فهى ريح لا تفرق فى التلقيح ، وكذلك رسول الله (ﷺ) كان لا يفرق فى عطائه ، وكان عظيم سخائه سببا فى فتح القلوب الى الاسلام ونحولها التحول العجيب إليه ...

فهذا صفوان بن اميه الذى كان يقول :

(لقد أعطانى رسول الله (ﷺ) ما اعطانى ، وإنه لابغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس إلى) (٤) .

ولقد جذب سخاؤه (ﷺ) القلوب إلى الإسلام ، لعلمه (ﷺ) بطبيعة النفس البشرية ،فعن موسى بن أنس عن أبيه رضى الله عنه قال : ما سئل رسول الله (ﷺ) على الإسلام شيئا إلا أعطاه ، قال: فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال يا قوم اسلموا فإن محمدا يعطى عطاءا لا يخشى الفاقة (٥) ، وعن انس قال : (ان رجلا سأل النبى (ﷺ) غنما بين جبلين فأعطاه اياه ، فأتى قومه ، فقال أى قوم اسلموا فوالله إن محمدا يعطى عطاءا ما يخاف الفقر ، فقال انس : ان كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب اليه

---

(١) سورة الاعراف : اية ٥٧ .

(٢) سورة فاطر : اية ٩ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ٨/ ٦٠ – ٦٦١ .

(٤) صحيح مسلم شرح النووى : كتاب الفضائل : باب سخاؤه (ﷺ)١٥/٧٢ .

(٥) المرجع السابق ١٥ /م ٧٢ .

من الدنيا وما عليها (١) ، لقد رأى هؤلاء الذين غمرهم النبى (ﷺ) بعطائه انه عطاء نبى لا إعطاء رمز من رموز الجود ممن انتهى اليهم الجود .

إن حجم نفقات النبى (ﷺ) قد فاق الوصف ، بل وقارن الناس بين عطائه (ﷺ) ، وعطاء غيره من رموز الجود فوجدوا الفرق اوسع مما بين عطاء الشمس وعطاء المصباح .

هذه الأوجه الستة وغيرها فيبيان المقارنات بين جود الحبيب (ﷺ) وجود غيره من مشاهير العرب فى الجاهلية ، نخرج منها بالأمور التالية :

١ – أن البون شاسع والفرق بين جود حاتم وأمثاله له وبين جود الحبيب (ﷺ) .

أ – فحاتم قد استمد سجيته هذه من معايير بشرية ، أما رسول الله (ﷺ) فقد استمد خلقه هذا من نور الله .

ب – ان طيب نفس الحبيب (ﷺ) بالعطاء اعظم بكثير مما طابت به نفس حاتم .

ج – ان ظاهرة حاتم قد انتهت بموته أما خلق رسول الله (ﷺ) فقد ورثه المسلمون من نبيهم جيلا بعد جيل ، فى كل جيل رموزه فى الجود والسخاء ،فاثر حاتم كان قصصاحكى ، أما اثار الرسول (ﷺ) فهى دين يتعبد به إلى يوم الدين ... قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (٢)

٢ – وان لا يليق بنا ان نضع أمام رسول الله (ﷺ) اى احد من البشر لننظر اى الكفتين ترجح ، فرسول الله (ﷺ) اجل من ان يوزن به احد ، ويقارن به رمز من رموز البشر . فهو خير خلق الله على الإطلاق ، وهو سيد ولد آدم ، وهل تستطيع الأرض بدورانها ان تلامس السماء ؟ هذا من الامور المستحيلة فى الدنيا ، فمن أراد ان يقارن برسول الله (ﷺ) أحدا من البشر مهما كان حجمه ، فهو كمن يحاول أن يرتقى بالأرض إلى السماء ...

٣ – وان الذى دفعنى إلى اجراء هذه المقارنات (تجاوزا) هو أمران:

---

(١) المرجع السابق ١٥/ ٧٢

(٢) سورة الأحزاب : اية ٢١ .

الأول : ان ارفع وهما قد يقع فى النفس ولا يفطن له بعض العامة مؤداه ان كرم حاتم لا يقارن ، وانه قد فاق بكثير كرم غيره ، فإذا ما أردنا ان نضع نهاية الكرم فلان قلنا (كرم حاتم) فهو النهاية فى الكرم ليس قبله ولا بعده ... وهذا التعبير ان قصد على ظاهرة فهو جهل بمقام حبيبنا الأعظم (ﷺ).

الثانى : وهو اشارة متواضعة منى الى بيان سعة جود الحبيب (ﷺ) وأن جوده قد نزل من السماء مع الوحى فمهما قيل فى جوده فلن نستطيع ادراك الغاية فيه ... وأن الأجواد يتضاؤل عطاؤهم الى عطائه (ﷺ) .

ثانيا : حجم مدخرات النبى (ﷺ) :

ان المتتبع لسرعة يد النبى (ﷺ) الفائقة فى العطاء يدرك لاول وهلة أنه (ﷺ) لم يكن يبق فى يده شيئا.

وإذا كان وصف رسول الله (ﷺ) فى عطائه بانه كالريح المرسلة ، ووصف القرآن للريح بانها (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)(١) فإن النبى (ﷺ) كانت ريح جوده المرسلة لا تذر شيئا معه .

يقول الشيخ سعيد حوى :

(فإذا ما علمنا مقدار حق رسول الله (ﷺ) المعطى له من هذه الأموال فقط مثل هذا ، وإذا عرفنا انه كان بامكان استثماره وتنميته ، ثم علمنا بعد ذلك أن رسول الله (ﷺ) مات ودرعه مرهونه عند يهودى ، وانه أمر أن يوزع ميراثه أن كان على المسلمين ، وانه ليس لاقاربه من ميراثه شئ ، وانه ما كان يلبس إلا الخشن ، ولا ينام إلا على القليل ، وانه كوع الأيام ، وانه كان يخشى اذا بقى فى بيته مال فلم يوزعه على الناس ، أدركت اى كرم كان عنده (ﷺ) وأى نفس طاهرة هذه النفس وأدركت أنها النبوة) (٢)

وكلام الشيخ سعيد حوى رحمه الله تعالى فى تقرير جود الحبيب (ﷺ) دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة من ذلك :

١ – حديث ابن عباس السابق الذى وصف عطاءه (ﷺ) انه كالريح المرسلة ...

---

(١) سورة الذاريات : اية رقم : ٤٢ .

(٢) الرسول (ﷺ) : السعيد حورى ١٢٩ – ١٣٠ بتصرف يسير

٢ – عن انس رضى الله عنه قال : (كان النبى (ﷺ) احسن الناس واجود الناس واشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبى (ﷺ) قد سبق الناس الى الصوت وهو يقول : لم تراعوا لم تراعوا وهو على فرس لأبى طلحه عرى ما عليه سرج ، فى عنقه سيف ، فقال لقد وجدته بحرا ، أو انه لبحر)(١)

٣ – ولقد عبر الصحابى الجليل سيدنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن سعة جود الحبيب (ﷺ) فقال : (ما سئل النبى (ﷺ) عن شئ قط فقال : لا) (٢)

٤ – حتى ولو كان فى حاجة الى هذا الشئ يدل على هذا ما رواه سيدنا سهل بن سعد رضى الله عنهما (جاءت امرأة الى النبى (ﷺ) ببردة – فقال سهل للقوم أتدرون ما البردة ؟ فقال القوم :هى شملة ، فقال سهل هى شملة منسوجة فيها حاشيتها .

فقال يا رسول الله : أكسوك هذه ، فأخذها النبى (ﷺ) محتاجا اليها فلبسها ، فراها عليه رجل من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسونيها ، فقال : نعم . فلما قام النبى (ﷺ) لامه اصحابه فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبى (ﷺ) أخذها محتاجا ثم سألته إياها ، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى (ﷺ) لعلى أكفن فيها) (٣)

نظرات فى هذه الأحاديث :

أفاد الحديث الأول وهو قول أنس ، أن رسول الله (ﷺ) كان احسن الناس خلقا ، ومنها انه كان أجود الناس ، وانه كان بحرا فى جوده وعطائه .

وأفاد الحديث الثانى : وهو قول جابر رضى الله عنه ... ان عطاء النبى (ﷺ) ليس له حدود ، وانه ما قال لا قط ...

كما قال الفرزدق (٤)

(١، ٢، ٣) الأحاديث الثلاثة فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى : من كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء بارقام : ٦٠٣٣ ، ٦٠٣٤ ، ٦٠٣٦ .

(٤) قال الفرزدق هذا البيت فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين (على بن الحسين بن على بن ابى طالب) رضى الله عنهم ، وذلك لما حج واحتفى به الناس فاق احتفاءهم بهشام بن عبد الملك : فقيل لهشام من هذا ؟ فقال : لا أعرفه ،

ما قال لا قط إلافى تشهده ... لولا تشهدة كانت لاؤه نعم

بينما الحديث الثالث الذى فيه تطبيق عملى على لما شهد له الصحابة فى عطائه (ﷺ) تلك البردة لمن طلبه وهو محتاج اليها

وافاد كذلك ان الصحابة كلهم يعرفون عن النبى (ﷺ) تلك الخصله انه ايثاره للغير على نفسه اية من آيات الله فيه ...وأن الصحابى هذا الذى طلب هذا الثوب لنفسه وهو يعلم أن النبى (ﷺ) سيجود به ، ما فعل هذا إلا حرصا على البركة ... وفى موقف الصحابى هذا عبرتان..

١ – أن هذا الصحابى – رضى الله عنه – قد وصلت به الشفافية انه احسن بدنو أجله

٢ – انه حرص على نيل بركات النبى (ﷺ) قبل لقاء ربه وهذا ما صرحت به الرواية الاخرى عن سهل التى أوردها الإمام البخارى فى كتاب الجنائز ... حينما قال الصحابى – وقد اختلفوا فى تحديده : (والله ما سألته لألبسها انما سألته لتكون كفنى ، قال سهل : فكانت كفنه) (١)

مما سبق يتبين لنا بوضوح :

أولا : ان النبى (ﷺ) كان يجود بكل ما يملك ولا يبقى لاهله إلا ما يكفيهم وكان يتوفر لديه النصاب الذى يخرج عليه الزكاة عندما يحول عليه الحول بل حدد لنفسه فترة لا يبقى فيها مال – مهما كان قدره – إلا وسارع فى انفاقه فقال رسول الله (ﷺ) : فيما رواه عنه ابو ذر الغفارى رضى الله عنه قال : " كنت أمشى مع النبى (ﷺ) فى حرة المدنية فاستقبلنا أحد فقال يا ابا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا تمضى على ثالثه ، وعندى منه دينار، إلا شيئا أرصده لدين ، إلا أن اقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، ثم مشى ثم قال : أن الاكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه ومن شماله ومن خلفه – وقليل ماهم (٢) ، وذكر ابن حجر فى الفتح رواية ابى شهاب عن الاعمش (فلما أبصر أحدا قال : ما أحب انه يحول لى ذهبا يمكث عندى

فقال الفرذوق ، لكنى اعرفه هذا علىبن الحسين ... هذا بن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم ... الخ . انظر صفة الصفوة ١/ ٢٩٩

(١) برقم ١٢٧٧ .

(٢) صحيح البخارى برقم ٦٤٤٤ .

منه دينار فوق ثلاث) وفى معنى قوله (ﷺ) (مضى عليه ثالثة) ، (فوق ثلاث) ، يقول العلامة ابن حجر فى الفتح : (١)

(مضى على ثالثه) اى ليلة ثالثة ،قيل وانما قيد بالثلاث لانه لايتهيأ قدر أحد من الذهب فى اقل منها تقريبا ، ويعكر عليه رواية (يوم وليلة) ، فالاولى أن يقال الثلاثة أقصى ما يحتاج اليه فى تفرقة مثل ذلك، والواحدة اقل مايمكن) ومعنى هذا أن أقصى مدة يبقى المال عنده فيها ، ولو كان مثل أحد ذهبا هى ثلاث ليال والحول عام كامل .

ثانيا : ما كان عليه حال الرسول (ﷺ) فى بيته هو خير دليل على ما نقول ...

عن عائشة رضى الله عنها قالت : (ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض) (٢) ، وفى رواية : (ما أكل آل محمد (ﷺ) اكلتين فى يوم واحد إلا احداهما تمر) وفى رواية : (ان السيدة عائشة رضى الله عنها قالت لعروة بن اختها (ابن اختى ان كنا لننظر الى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقدت فى أبيات رسول الله (ﷺ) نار فقلت ما كان يعيشكم ؟ قالت : الاسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله (ﷺ) جيران من الانصار ، كان لهم منائح ، وكان يمنحون رسول الله من أبياتهم فيسقيناه) (٣) ، قال العلامة بن حجر فى الفتح : وزاد ابن سعد من وجه اخر عن ابراهيم : " وما رفع عن مائدته كسرة خبز فضلا حتى قبض) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله (ﷺ) كانت تأتى عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز البر) (٤).

والمستفاد من تلك الاحاديث :

هذا التقرير الدقيق لحال بيت النبى (ﷺ) ، والذى تروية أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها يدل دلالة واضحة على طبيعة الحياة داخل حجرات الرسول (ﷺ) وهى حياة صعبة لا يقوى عليها المرء عادة خاصة إذا كان المرء يستطيع ان يحافى تلك الحالة ، أو ينقلب الى ضدها ، ولكنها رؤية النبى (ﷺ) لحجم الدنيا فى مواجهة الاخرة التى عاشها قبل ان يرحل اليها ، واياره لنعيم الجنة الذى ذاقه قبل أن تكون

---

(١) فتح البارى / ١١/ ٢٦٩ .
(٢) السابق برقم ٦٤٥٥ .
(٣) السابق برقم ٦٤٥٩
(٤) فتح البارى ٢٩٧/١١ .

مستغفره . قال ابن حجر في الفتح : (قال الطبري : استشكل بعض الناس كون النبي (ﷺ) واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس الف بعير مما افاء الله عليه ، وأنه ساق في عمرته مائة بدنه فنحرها) واطعمها المساكين ، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم ، وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحه وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه ، وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه ،وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير الى غير ذلك والجواب ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للإيثار وتارة لكراهة الشبع ولكثرة الاكل)(١).

فالحال الذي كان عليه الرسول (ﷺ) لم تكن من ضيق وفقر ، وانما كانت لتحقيق كمال القدوة من (ﷺ) في بيان ان الدنيا صلاحها في الزهد لا في الحرص .

نعم كان (ﷺ) يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له .. فعن عائشة رضي الله عنها قال : دخلت على امرأة قرأت فراش النبي (ﷺ) عباءة مثنية ، فبعثت الى بفراش حشوه صوف ، فدخل النبي (ﷺ) فراه ، فقال رديه يا عائشة ، والله لو شئت أجرى الله معي جبال الذهب والفضة) (٢) .

والنتيجة التي نخرج بها من هذه النقاط الثلاث :

١- سعه جوده (ﷺ).

٢ – انه كان لا يترك المال معه اكثر من ليال ثلاث ولو بلغ في حجم أحد ذهبا .

٣– ان حياته في بيته كانت حياة التقشف البين ...(٣)

(١) نفس المصدر الجزء والصفحة .

(٢) فتح الباري ٢٩٧/١١ – ٢٩٨ بتصرف .

(٣) ومما يجدر الاشارة اليه ان ازواج النبي (ﷺ) كن راضيات بهذه المعيشة قانعات مؤثرات للاخرة على الدنيا ، ولعل اوضح دليل على هذا التحفير القرآني لهن (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله اعد

أولا : انه لابد من تلازم هذه الأمور الثلاثة فى بيان نصاب الزكاة عند رسول الله (ﷺ) . .. وهذا واقع مشهور ومعلوم من حياة الحبيب(ﷺ)

ان النقطة الثالثة مترتبة على الثانية والأولى .... وأن بيوته المباركة ما كانت تعيش بهذه الحالة لبخل ، فهذا امر مستحيل عليه (ﷺ)، وإنما تحققت حياة الشظف لأهله بسبب ما كان عليه (ﷺ) من جود واخراج الموجود .

ثالثا ... النتيجة الحتمية التى نخرج بها مما تقدم ان رسول الله (ﷺ) ما كان يتبقى لديه مال – مع كثرة رزقه وسعته وبركته – يحول عليه الحول ليخرج صدقته المفروضة ...

وبهذا نستطيع الجزم بانه (ﷺ) لم تخرج زكاة مال قط لأنه لم يجب النصاب فى ماله قط ...(١)

للمحسنات منكن اجرا عظيما) وكلهن اجمعن على انهن يردن الله ورسوله والدار الآخرة . انظر تفسير القرطبى : مجلد ٧ جزء ١٤ ص ١٠٧ .

(١) ولقد تأسى السلف الصالح رضوان الله عليهم بالنبى (ﷺ) فى ذلك فهذا ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما وجبت زكاة فى ماله قط لأنه جاد بماله على رسول الله (ﷺ) وهو الذى كان يقول : ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال ابى بكر . فبكى ابو بكر وقال هل أنا ومالى إلالك يا رسول الله . صفة الصفوة ١/ ٧٦ ففى الهجرة أخذ كل ماله ، وغطت ابنته السيدة اسماء رضى الله عنها الموقف بعده فعميت على جدها ابى قحافة حتى سكت ، فقالت (ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى اردت أن اسكن الشيخ بذلك) السيرة النبوية . لعلى الصلابى : ح١ – ص ٢٤١

ونرى كذلك ممن اقتفى اثر نبيه (ﷺ) العالم الثرى الإمام الليث رحمه الله .. فقد أورد الامام شمس الدين الذهبى فى ترجمته ما يدل على ذلك ، من ذلك

١ – ما قاله عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد : سمعت ابى مقول : ما وجبت على زكاة منذ بلغت .

٢ – ما ذكره ابو داود عن قتيبه قوله : كان الليث يستغل عشرين الف دينار فى كل سنة ، وقال : ما وجبت على زكاة قط واعطى الليث ابن لهيعة الف دينار ، واعطى مالكا الف دينار ، واعطى منصور بن عمار الواعظ الف دينار وجارية تسوى ثلاث مائة دينار) انظر : سير اعلام النبلاء : للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى المتوى سنة ٧٤٨هـ . ١٣٧٤ م ح ٨ – ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

خاتمة البحث

لقد عشنا – بفضل الله تعالى – فى تلك الدراسة السابقة فى ضوء قول الله تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى) وبينا شيئا من مظاهر الفقر العائلى التى نشأ فيها النبى (ﷺ) وكيف ان الله أغناه ، وكيف كان شكره المنقطع النظير لهذه النعم .

وكان مما خرجنا من تلك الدراسة من تلك الحقائق هذه الحقيقة أن النبى (ﷺ) قد تحول من سجن الفقر إلى واحة الغنى بطريق التدرج حتى وصل الى أعلى درجة فيه فوصل بذلك إلى أعلى درجات الشكر . وأن الغنى لم يصب النبى (ﷺ) بضربة حظ ، وإنما بجهده فى عمله الشريف الذى تعددت صوره فيما سبق ..

بل نراه (ﷺ) ياتيه الثراء عن طريق شهى ويزهد فيه بل ويتعالى عليه ...

من ذلك :

ما رواه ابن كثير فى البداية والنهاية :

أن المشركين اجتمعوا يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه وليتظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة فقالوا : انت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد أنت خير ام عبد المطلب فسكت رسول الله (ﷺ) . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقدعبدوا الآلهه التى عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما راينا سخلة قط اشام على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت امرنا وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب ، حتى لو طار فيهم : ان فى قريش ساحرا وان فى قريش كاهنا ، والله ما ننظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى .

ايها الرجل : ان كان اغا بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اغنى قريش رجلا ، وان كان بك الباه فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله (ﷺ) : " فرغت " ؟ قال : نعم . فقال رسول الله (ﷺ) : " حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون إلى ان بلغ " فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" سورة فصلت

فقال عتبة : حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : لا . فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ . قال : ما تركت شيئا ارى انكم تكلمونه إلا كلمته ، فقالوا : فهل اجابك ؟ قال : نعم

والشاهد هنا ..

ان رسول الله (ﷺ) عرض عليه أن يكون غنيا بل يكون رأس القوم فى الثراء ، لكنه لا يتأثر ، ولم يحرك العرض فيه ساكنا ..

٢ – ما أخرجه الترمذي من حديث ابى أمامة رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) : " عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب . ولكن اشبع يوما واجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت اليك ، وإذا شبعت شكرتك " (١)

ففى الحديث الأول يعرض عليه اهل الثراء العريض وهم يظنون انه سيحرك عنده ساكنا ، ولكن لا يلتفت الى هذا العرض ..بل الأعجب من ذلك أن من بيده خزائن السموات والأرض يعرض عليه بطحاء مكة ذهبا فيؤثر الحبيب (ﷺ) أن يظل على حالته هذه ليجمع بن فضيلتى الصبر والشكر ...

وفى هذا تمام القدوة لأمته ان اعظم الكسب وازكاه ما أصابه المسلم من عمل يده ، ولهذا تأثر أصحابه رضوان الله عليهم غاية التأثر به (ﷺ) ذلك .

---

(١) الترمذى كتاب .

الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه التى عرضت عليه الدنيا سهلة فرفضها واثر الا ان يصيب منها بجهده

قد أخرج البخارى قال : قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : لما قدمنا المدينة اخى رسول الله (ﷺ) بينى وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : انى اكثر الأنصار مالا فاقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها قال : فقال له عبد الرحمن لا حاجه لى فى ذلك ، هل من سوق فيه تجارة ؟ قال سوق قينقاع، قال : فغدا اليه عبد الرحمن عليه أثر صفرة ، فقال رسول الله (ﷺ) تزوجت ؟ قال نعم . قال ومن ؟ قال امراة من الأنصار ، قال : كم سقت ؟ قال زنة نواة من ذهب او نواة من ذهب قال (ﷺ) : أولم ولو شاة) (١)

ذكر العلامة ابن حجر فى الفتح (وفيه ان الكسب من التجارة ونحوها اولى من الكسب من الهبة ونحوها) (٢)

ان عبد الرحمن بن عوف قد جاءته الدنيا سهلة متمثلة فى مال وزوجة وضيئة لكنه يعتذر عنها ويدعو لصاحبه بالبركة ويضرب فى الأرض مبتغيا من فضل الله ، لهذا لما تعفف واستغنى رزقه الله رزقا طيبا مباركا فيه ، وانفق عظائم الاموال وكرائمها فى سبيل الله ، ولما اذن له ربه بولوج ابواب الجنة كانت تركته عجبا ..

فقد كان فيما ترك ذهبا قطع بالفئوس حتى بحلت (٣) ايدى الرجال منه وترك اربع نسوة ، فاخرجت امرأة من ثمنها بثلاثين الفا(٤) ويذكر العلامة القرضاوى فى فتاويه (انه – رضى الله عنه – حينما مات

(١) البخارى مع الفتح من : كتاب البيوع : باب قول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض) ٤/٣٢٧ برقم ٢٠٤٨.

(٢) فتح البارى ٤/ ٣٤٠.

(٣) تقرحت من تقطيع الذهب ، وهو الماء يظهر بن الجلد واللحم من حرق أو مشقة أو معالجة الشئ الخشن . المعجم الوجيز ٧٣ بتصرف .

(٤) صفة الصفوة : لابن الجوزى ١/١١١ .

صولحت احد نسائه ركن اربع نسوة – على ربع الثمن ، فكان نصيبها ثمانين الف دينار ، ان هذا المبلغ كان يساوى ٣٢/١ من التركة ولا بنس القدرة الشرائين للدينار فى ذلك الوقت (٥)

والشاهد هنا : ان القدوة فى حياة الرسول (ﷺ) كانت شاملة لكل جوانب الحياة ...

وإذا كان حديثنا عن الجانب الاقتصادى فى حياة الرسول (ﷺ) فلقد استبان لنا بوضوح ان رسول الله (ﷺ) اختار الغنى عن طريق بذل الجهد والاخذ بجميع اسباب الحياة حتى وصل الى اعلى درجات الشكر بما اوتى من عظيم فضل ..

ولقد اختار أصحابه نفس المنهج فاعطاهم الله الدنيا فى أيديهم فأصلحوها وعمروها .

(٥) انظر: فتاوى معاصرة : د / القرضاوى ٥٩٩/١

قائمة بأهم المراجع

١- القرآن الكريم

٢- اتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد

٣- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير – مكتبة الصفا

٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لابن رشد – دار الكتب العلمية – بيروت

٥- تاريخ الخلفاء : للحافظ السيوطى – دار الفجر الحديث

٦- تاريخ الدعوة الى الله فى عهد عمر بن الخطاب : د / يسرى محمد هانى – دار اليقين للنشر والتوزيع

٧- تفسير القرآن العظيم : للحافظ بن كثير

٨- التفسير الموضوعى : للشيخ / محمد الغزالى

٩- جامع البيان فى تأويل القرآن : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى – دار الغد العربى .

١٠- حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى.

١١- الجامع لأحكام القرآن : للإمام ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى – دار الكتب العلمية .

١٢- دور القيم والأخلاق فى الإقتصاد الإسلامى : د / يوسف القرضاوى – مكتبة وهبة – ط١ .

١٣- ديوان الإمام الشافعى – دار المنار .

١٤- الرحيق المختوم : لصفى الرحمن المباركفورى .

١٥- الرسول (ﷺ) : لسعيد حوى .

١٦- زاد المعاد فى هدى خير العباد : لابن قيم الجوزية .

١٧- سنن ابى دواد : الإمام الحافظ المصنف المتقن ابى دواد سليمان بن الاشعث السجستانى – دار الحديث القاهرة

١٨- السيرة النبوية فى العهد المكى : د / عبد الفتاح المتناوى

١٩- السيرة النبوية للشيخ محمد متولى الشعراوى مركز الفرات لخدمة الكتاب والسنة – مكتبة التراث الإسلامى

٢٠- السيرة النبوية : لابى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى – دار التراث العربى

٢١- السيرة النبوبية دروس وعبر – د / مصطفى السباعى

٢٢- السيرة النبوية : د / على محمد الصلابى – دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٣- سير اعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

٢٤- صحيح مسلم بشرح النووى : للإمام / ابى زكريا يحى بن شرف النووى الدمشقى المطبعة المصرية ومكتبتها

٢٥- صحيح التوثيق فى سيرة وحياة ذى النورين عثمان بن عفان : لمجدى السيد – دار الصحابة للتراث .

٢٦- صفة الصفوة : للإمام ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : طارق محمد عبد المنعم – دار ابن خلدون

٢٧- صفوة السيرة للحافظ بن كثير ط المجلس الاعلى للشئون الإسلامية

٢٨- العقد الفريد : لاحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس / مفيد محمد قميحه – دار الكتب العلمية بيروت

٢٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : للحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى ت محب الدين الخطيب

٣٠- محمد فؤاد عبد الباقى ط – دار الريان – المكتبة السلفية

٣١- الفائق فى الأخلاق والتربية ، ملخص فضل الله الصمد فى توضيح الأدب للإمام محمد بن اسماعيل البخارى – تاليف فضل الله الجبلانى الهندى

٣٢- الفتح الربانى ترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى : لاحمد عبد الرحمن البنا – دار الشهاب القاهرة

٣٣- فتح المنعم شرح صحيح مسلم : د / موسى شاهين لاشين – مطبعة الفجر الجديد

٣٤- فتاوى معاصرة : د / يوسف القرضاوى – ط دار القلم

٣٥- فى ظلال القرآن : الشيخ / سيد قطب – دار الشروق

٣٦- القاموس المحيط لمجد لدين الفيروز أبادى – ط ٥ المكتبة التجارية الكبرى

٣٧- كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال : لعلى الدين على المتقى بن حسام الدين الندى البرهان فورى – مؤسسة

٣٨- مجلة منار الاسلام عدد ١٠ سنة ٢١ شوال ١٤١٦ هـ / فبراير ١٩٩٦ م

٣٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على ابن ابى بكر الهيثمى ت عبد الله محمد درويش

٤٠- مختار الصحاح لمحمد بن ابى بكر الرازى – ط عيسى البابى الحلبى

٤١- المستطرف من كل فن مستظرف شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهى – دار مكتبة الحياة

٤٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : للامام فخر الدين الرازى – دار الكتب العلمية

٤٣- المعجم الوجيز : – ط مجمع اللغة العربية – وزارة التربية والتعليم

٤٤- المغنى لابى محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ط دار الغد العربى

٤٥- منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب – دار الشروق

٤٦- نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الحضرى

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة البحث	٧٥٧
تمهيد ويشتمل على : ١- طبيعة الموضوع ٢- اهمية الموضوع	٧٥٨
المبحث الاول : الظروف الإقتصادية لمكة المكرمة	٧٥٩
المطلب الاول : ماء زمزم	٧٦٠
المطلب الثاني : الإيلاف	٧٦٢
المطلب الثالث : حادث الفيل واثره الاقتصادى على قريش	٧٦٥
المبحث الثانى : نشاة النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصادية	٧٧٠
المطلب الاول : الحكمة من فقر النبى صلى الله عليه وسلم فى صدر نشأته	٧٧٤
المبحث الثالث : حقيقة هذا الغنى	٧٧٨
المبحث الرابع : م أغنى الله نبيه صلى الله عليه وسلم	٧٨٩
المطلب الاول : رعى الغنم والحكمة من ذلك	٧٨٩
المطلب الثانى : التجارة	٧٩٨
المطلب الثالث : البركة واثرها الاقتصادى	٨٠٥
المطلب الرابع : الغنائم	٨١٤
المبحث الخامس : هل وجبت الزكاة فى مال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟	٨٢٠
المطلب الاول : وصف عطائه صلى الله عليه وسلم	٨٢٠
المطلب الثانى : جود حاتم الطائى	٨٢١
المطلب الثالث : الفرق بين جود حاتم الطائى وجود النبى صلى الله عليه وسلم	٨٢٢
المطلب الرابع : حجم مدخرات النبى صلى الله عليه وسلم	٨٣٠
خاتمة البحث	٨٣٦
قائمة المراجع	٨٤٠
الفهرس	٨٤٤